20060608-0001a-2

أسلحة ١٤ آذار
للدمار الشامل

ضحى شمس

شاهدت بالأمس واحداً من أجمل البرامج الكوميدية اللبنانية التي، على قوة سخريتها، لم تثر حفيظة أحد في الشوارع اللبنانية المتعددة. كونها لم تتناول أي مقام، خلاف مقام النبي عزير، أو ما عرف إعلامياً بمقبرة عنجر الجماعية. لم يكن البرنامج على قناة بعينها بقدر ما كان مجموع نشرتي أخبار <المنار> و<أل. بي. سي>. هكذا، بدأتُ بقناة <المنار>، متسقّطة الخبر الذي سمعته في الجريدة عن صدور قرار المدعي العام التمييزي القاضي سعيد ميرزا في قضية <المقبرة الجماعية> التي اكتشفتها قوى ١٤ آذار بعد الانسحاب السوري من عنجر، وأسهبت وسائل إعلامها في تناولها، فإذ بها، وحسب تقرير الحمض النووي، مقبرة إسلامية تاريخية، تعود أقدم عظامها الى القرن السابع عشر وأحدثها الى خمسين عاماً خلت، أي بعيد نكبة فلسطين.

وبالطبع، أسعد الاكتشاف قناة <المنار>، فاستهلت نشرتها بالخبر / الفضيحة، بلهجة من أمسك بلص ويده في الكيس، فأخذ يصيح مشهداً الناس.

ومع أنني أعترف بأن مكان خبر كهذا، هو مستهل النشرة، لكثرة ما بني عليه في السياسة من قصور تبيّن أنها كرتونية، ولما استغرقه من أخذ وردّ بين أنصار <الحدس الشعبي> كدليل علمي دامغ، وأنصار التمهل وانتظار الدليل لأسباب مختلفة، إلا أن <مقادير> لهجة التشفي في تلاوة الخبر، والعودة الى الأرشيف في حديث أدلى به النائب أكرم شهيب منددا بالمقبرة الجماعية، و<الصفن> المطوّل، جعلنا نخاف ان نفوّت مقدمة <أل. بي. سي> التي تبدأ بعد نصف ساعة من أخبار <المنار>. مع العلم أن الإضافة الهامة لقناة <المنار> كانت في استصراح غازي عاد، رئيس جمعية المفقودين في السجون السورية، الذي تُرفع له التحية لإشادته <بكشف الحقيقة>، ورفض توظيف قصة المفقودين كما حصل إبان <اكتشاف> مقبرة عنجر، كما قال.

لكن تبين، ما ان بدأت نشرة <أل. بي. سي>، أنها اختارت لمقدمتها الاستهلال ب<حدث> حصل <بُعيد> دفن آخر جثة في مقبرة عنجر. ليس من النكبة، معاذ الله، ولكن منذ.. نكسة ١٩٦٧ كونها كانت السبب في بدء الحديث بالمنطقة عن <الاستراتيجيات الدفاعية> كما قال الزميل جورج غانم. ليطير بعدها <برشاقة> فوق أربعين عاماً من الصراع العربي الإسرائيلي وصولاً الى جلسة الحوار المنتظرة اليوم، والردّ المرتقب لقوى ١٤ شباط، على <الاستراتيجية الدفاعية> التي عرضها نصر الله سابقاً، مع ربط كل ذلك بما قاله نصر الله عن تاريخ البعض <غير المناسب> مع اسرائيل، لجهة نقاش استراتيجية دفاعية.

وانتظرت عشر دقائق. ربع ساعة. ثلث ساعة .. سماع خبر نتائج تقرير الحمض النووي. عبث. هكذا جاء

وانتظرت عشر دقائق. ربع ساعة. ثلث ساعة .. سماع خبر نتائج تقرير الحمض النووي. عبث. هكذا جاء الفاصل الإعلاني، وتلته أخبار وأخبار، الى أن حان <وقت الجودة> كما تقول الدعاية. فإذ بالخبر يُورد بشكل محايد كأنه بيان لمديرية قوى الأمن الداخلي! لا بل ان المؤسسة لم تستصرح أحداً من القوى التي ضلّلت بصياحها أهالي المفقودين في سوريا وتلاعبت بآمالهم، فضلاً عن الرأي العام بخفة ما بعدها خفة.

لا أعرف لماذا توقعت أن يحدث ما يذكر، مع حفظ الفروقات، باكتشاف أكذوبة <أسلحة الدمار الشامل> التي زعمت الولايات المتحدة أن العراق يمتلكها لكي تبرر مهاجمته. هو لا شك تفاؤل مني في غير محله.

لكن المؤسف أن <أل. بي. سي> التي حملت قضية المفقودين في السجون السورية، بدت وكأنها كانت تحملها لأسباب سياسية لا إنسانية. فلم تتطرق، ولو موارية لأي نوع من الشرح أو النقد أو التبرير. وبالطبع، لم تستصرح غازي عاد، الذي ربما كان لديه ما يوجهه إلى أهالي المفقودين الذين تلاعبت بهم <السياسة>، وأي تلاعب.

يبقى سؤال واحد، كان على مختلف الأقنية أن تسأله لو أن همّها الصحافي سابق لهمّها السياسي: كيف وصلت الثياب العسكرية المرقّطة، <دليل> الاشتباه الاول الى داخل المقبرة؟ ومن لفت النظر إليها؟ مع العلم ان <الأسلحة> المكتشفة بين العظام يعود تاريخها الى أيام الأتراك، ولم يكن حينها <المرقط> موضة في ملابس الجيوش.

الثابت أنه بانتظار الجواب، ستعود مسؤولية <مقبرة النبي عزير> في عنجر من عهدة القضاء الى عهدة .. مديرية الآثار حيث سترقد، أخيراً، بسلام.